

فعل الانزياح: بين الأسلوبية والترجمة

The Act of Shifting: Between Stylistics and Translation

تاريخ النشر: 2025/12/28

تاريخ القبول: 2025/12/25

تاريخ الإرسال: 2025/11/15

فلاح هشام¹، شلي ماجدة²¹ جامعة قسنطينة 1، الجزائر، EMAIL: hichem.fellah@doc.umc.edu.dz² جامعة قسنطينة 1، الجزائر، EMAIL: supplication06@hotmail.com

الملخص

تقوم الدراسة على تشريح فعل الانزياح من منظور حقلين معرفيين مختلفين هما الدراسات الأسلوبية ودراسات الترجمة، بهدف تكوين رؤية شاملة لهذه الظاهرة، وتوضيح العلاقة بين فعلي الانزياح الأسلوبي والانزياح الترجمي أثناء عملية الترجمة، من خلال التساؤل حول المفاهيم التي تضبط ذلك وطبيعة تلك العلاقات التي تربطهما. أظهرت الدراسة أن فعل الانزياح اللغوي يتحقق من خلال خروج التعبير عن المعيار المعمول به، فسواء كان هذا الفعل اسلوبياً أو ترجمياً، يبقى مبدأ الخروج عن المعيار قائماً؛ فالأول يعكس خرقاً لمعيارية اللغة العامة، بينما الثاني يجسد تحولاً عن معيارية لغة النص المصدر. وأن العلاقة التي تربطهما هي علاقة سببية، أي أن الانزياح الأسلوبي في النص المصدر يولد انزياح الترجمة في نص الهدف، وتظهر تلك العلاقة جلياً من خلال الأداء الترجمي بالأساس.

الكلمات المفتاحية: فعل الانزياح، الانزياح الأسلوبي، انزياح الترجمة، انزياح التعبير، الانزياح الدلالي التدريجي.

المؤلف المرسل: فلاح هشام، الإيميل: hichem.fellah@doc.umc.edu.dz

Abstract:

This study analyzes the "act of shifting" through stylistics and translation studies, aiming to provide an overall view of the phenomenon and to clarify the relationship between stylistic deviation and translation shift. Findings show that through a causal relation between the two concepts, stylistic deviation of the source text triggers the generation of corresponding translation shifts in the target text. This natural consequence is clearly reflected in the process of translation.

Keywords: Act of Shifting; Stylistic Deviation; Translation Shift; Gradual Semantic Shifting; Shift of Expression.

1. مقدمة:

الأسلوب مرآة لذاتية الكاتب، يتجلى من خلال تعبيره عن الأفكار والمعاني التي يود إيصالها للقارئ، وذلك بتبنيه خيارات معجمية ونحوية تركيبية بشكل رئيسي، ينتقها من مخزون اللغة العام، مفضلاً إياها عما سواها من الخيارات الموجودة في هذا المخزون، عن قصد أو عن غير قصد. فالأسلوب هو الفيصل بين الكتابات الأدبية والكتابات المعيارية العادية. ولما كان الأسلوب "اعتدال وتوازن بين ذاتية التجربة ومقتضيات التواصل" (المسدي، 1982، ص. 75)، فإن قوام هذا الاعتدال يتحقق على مستويين أساسيين هما "المستوى اللساني" و"المستوى الأدبي"؛ مستوى لساني لغوي تعكسه التراكيب الإبلاغية للرسالة، وآخر أدبي فني تعكسه تراكيبها البلاغية.

إن التعامل مع أسلوب نصٍّ ما، دراسةً أو ترجمةً، تقتضي الأخذ في الاعتبار كل من المقياس اللغوي والمقياس الأدبي في آن واحد، فإذا كان الحدث اللغوي يتمثل أساساً في عملية الإخبار، فإن غاية الحدث الأدبي تتجاوز الإبلاغ إلى بلاغةٍ تثير المتلقي وتؤثر فيه، وبذلك تتحدد الخصائص اللغوية التي ينزاح من خلالها الخطاب عن سياقه الإخباري إلى الوظيفة الجمالية والتأثيرية (المسدي، 1982).

ولقد استرعى اهتمامنا في هذا السياق "فعل الانزياح" باعتباره ظاهرة لغوية تمثل أهم معطى اسلوبي في النص، ودوره في تشكيل البنى الفنية للكلام، إذ يضيف على النصوص

الأدبية طابعاً جمالياً ودلالياً يحفظ لها تميزها، ويُزيغها عن الأنساق التعبيرية المألوفة واللغة المعيارية السائدة. كما لفتت انتباهنا أيضاً مسألة نقل هذا الانزياح من خلال الترجمة وصعوبات إعادة انتاجه في اللغة الهدف، ذلك أن ترجمة النص الأدبي لا تقتصر على نقل المعاني فحسب، بل تتعدى ذلك إلى المحافظة على الأسلوب أيضاً. يقول يوجين نايدا في هذا الصدد:

"Translating consists in reproducing in the receptor language the closest natural equivalent of the source-language message, first in terms of meaning and secondly in terms of style" (Nida and Taber, 1982, p12)

"إن عملية الترجمة تتمثل في إعادة تشكيل أقرب مكافئ طبيعي لرسالة اللغة المصدر في لغة التلقي، أولاً من ناحية المعنى وثانياً من ناحية الأسلوب" (ترجمتنا)

فإذا كان الأسلوب ينظر إلى الانزياح على أنه ظاهرة تتجلى من خلال مخالفة الكاتب للقواعد اللغوية والأسلوبية المعيارية بهدف إحداث أثر جمالي أو دلالي على القارئ، فإن المترجم يرى نفس الظاهرة من منظورين مختلفين؛ منظور أسلوبية وآخر ترجمي. فالمترجم يميز بين نوعين من الانزياح: الانزياح الأسلوبية (Stylistic deviation) والانزياح الترجمي (Translation shift). فمن خلال تحليله للنص المصدر أثناء الترجمة، يؤدي المترجم دور الأسلوبية في استشعار الانزياحات الأسلوبية وتحديد أغراضها، ومن خلال أدائه للفعل الترجمي، كـمترجم، يجد نفسه في أغلب الأحيان مجبراً على إحداث انزياحات ترجمية بدافع الأمانة، من أجل المحافظة على أسلوب النص المصدر. وهذا ما دفعنا لطرح أسئلة بحثنا على النحو التالي: ما هو الفرق بين الانزياح الأسلوبية والانزياح الترجمي؟ وما طبيعة العلاقة بينهما؟ وكيف يمكن للانزياح الترجمي أن يمثل آلية ناجعة في تذليل صعوبات نقل الانزياح الأسلوبية أثناء الترجمة؟

2. مفهوم الانزياح:

1.2. من منظور الدراسات الأسلوبية:

تكتسي ظاهرة الانزياح أهمية بالغة في مجال الدراسات الأسلوبية الحديثة، التي تعتبر اللغة الشعرية لغة مخالفة للكلام العادي المألوف، لأنها لا تتحقق إلا عن طريق تلك الظاهرة لغوية ودلالية، فالانزياح هو المعطى الأسلوبية والدلالي في العصر الحديث، إذ

يعتبر مصطلح الانزياح من أكثر المصطلحات شيوعاً في الدراسات الأسلوبية المعاصرة ، ويشار به إلى كل خرق يطال قواعد اللغة المعيارية بطرق فنية مقبولة، أو بعبارة أخرى، استعمال المبدع للغة استعمالاً يخرج بها عن المعتاد فهو بمثابة الأداة الفنية التي يستعملها الشعراء للتعبير عن تجاربهم الشعورية فضلاً عن دوره في لفت انتباه القارئ، والتأثير فيه وإيصاله إلي الإمتاع واللذة و من ثمة توصيل الرسالة التي يريد بها الخطاب.

1.1.2. الدراسات الأسلوبية العربية:

شغلت ظاهرة الانزياح عديد الدارسين المعاصرين العرب، فتناولوها كل من وجهة نظره وحسب توجهه. يرى أحمد محمد ويس أن الانزياح يرسم خطأً فاصلاً بين ما هو في وما هو غير في من الكلام، ويعرفه بأنه: "استعمال المبدع للغة، مفرداتٍ وتراكيبٍ وصوراً، استعمالاً يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرّد وابداع وقوة جذب وأسر" (ويس، 2005، ص. 7)

ويرى عباس رشيد الددة أن الأسلوب يفقد بريقه بسبب خضوعه للتنميط، فيأتي الانزياح لكسر تلك النمطية، متمرداً على المعيارية المألوفة، ممارساً كل أنواع الخروقات على الضوابط المثالية المعروفة. ويقدم تعريفاً له - بوصفه اشتراطاً لا بد منه لتحقيق الإبداع - على النحو التالي: "الانزياح هو اختراق مثالية اللغة والتجروء عليها في الأداء الإبداعي، بحيث يفضي هذا الاختراق إلى انتهاك الصياغة التي عليها النسق المألوف أو المثالي، أو إلى العدول في مستويي اللغة الصوتي والدلالي عما عليه هذا النسق" (الددة، 2008، ص. 15).

أما نور الدين السد فيعرف الانزياح في مؤلفه الأسلوبية وتحليل الخطاب على أنه "انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بواسطته التعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي، بل يمكن اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته" (السد، 2010، ص. 198). وهو بذلك يضع الانزياح والأسلوب في خانة واحدة لأنه يعتبر الخطاب الأدبي نظاماً لغوياً يخرج عن المألوف، يقوم المبدع بإنشائه عن قصدٍ وبشكلٍ إرادي، فهو بذلك يخضع لمبدأ الاختيار، بمعنى أن الكاتب ينتقي المفردات والصيغ التي تناسب مقامه ويوظفها من خلال نسق في جمالي يجعلها تتعدى دلالاتها السطحية لتغوص في دلالات أعمق، فلماً أكدت اللسانيات أن لكل دال مدلول، فإن الأدب كسر هذا المبدأ ليمنح للدال إمكانية تعدد الدلالات، وهو المفهوم الأسلوبي للانزياح.

2.1.2. الدراسات الاسلوبية الغربية:

أما من المنظور الغربي، فقد تطرق جوفري ليتش (Geoffrey Leech) في كتابه "الدليل اللغوي للشعر الإنجليزي (A linguistic guide to English Poetry) إلى ظاهرة الانزياح تحت تسمية الانحراف (Deviation) بربطها بمفهوم "البُروز" (Foregrounding) الذي طبقه على الشعر. فهو يعتبر العنصر البارز (Foregrounded figure) في الشعر انحرافاً لغوياً (Linguistic deviation) وأما الخلفية (Background) هي اللغة في حد ذاتها، إذ يقول:

"The foregrounded figure is the linguistic deviation, and the background is the language- the system taken for granted in any talk of 'deviation'" (Leech, 1969, p. 57).

"إن العنصر البارز هو الانحراف اللغوي، أما الخلفية فهي اللغة – النظام الذي يُفترض مسبقاً عند الحديث عن أي انحراف." (ترجمتنا)
ثم يواصل حديثه عن الانزياح في الشعر قائلاً:

"a work of art in some way deviates from norms which we, as members of society, have learnt to expect in the medium used" (Leech, 1969, p. 56).

"ينحرف العمل الفني بشكل ما عن المعايير التي تعلمنا – نحن أفراد المجتمع – أن نتوقعها من الوسيط المستعمل." (ترجمتنا)

ويقصد بالوسيط المستعمل هنا اللغة العادية المألوفة التي يتعلمها أفراد مجتمع ما. إذ يرى أن الانزياح في الأعمال الفنية يبرز عن خلفيته، أي عن النظام اللغوي المألوف، تماماً ما تبرز الصورة عن خلفيتها في مقدمة مشهد ما، بمعنى أن الشعر يقوم على بروز أو ظهور ما يكسر القاعدة – أي الانزياح.

كما يؤمن ليتش بأن ما يجعل الشعر شعراً هو الانزياح الذي يوظفه الشاعر في نصوصه كأداة إبداعية للتعبير عن تجاربه الحسية، وأنه من أجل أن يكون ذلك الانزياح ذا قيمة فنية لابد أن يوصل المعنى الذي أراده الشاعر وأن يُحكم عليه أو يشعر به القارئ على أنه ذو قيمة فنية (Leech, 1969).

ويقسم ليتش الانزياحات إلى ثمانية أنواع ، وهي: 1. الانحراف المعجمي (Lexical deviation) 2. الانحراف النحوي (Grammatical deviation) 3. الانحراف الصوتي



(Phonological deviation) 4. الانحراف الكتابي أو الشكلي (Graphological deviation)
 5. الانحراف المعنوي أو الدلالي (Semantic deviation) 6. انحراف اللهجة (Dialectical deviation)
 7. انحراف السجل اللغوي (Deviation of register) 8. انحراف الحقبة التاريخية (Dviation of istorical period) (Leech, 1969, pp. 42-51).

ويعرف جان كوهين الانزياح (ويسميه L'écart وتعني البعد أو الابتعاد بالعربية) باعتباره اسلوباً على النحو الآتي: "هو كل ما ليس شائعاً ولا عادياً ولا مطابقاً للمعيار العام المألوف" (كوهين، 1986، ص. 15). كما يرى كوهين في وصفه للكيفيات التي يتحقق من خلالها الانزياح في النص أن الشعر يهدم اللغة العادية المألوفة لكنه يقوم ببنائها على مستوى أعلى، إذ يلي الكسر الذي سببته الصورة البلاغية إعادة بناء من طبيعة أخرى. والتالي فإن الشعرية من منظور كوهين تتحقق من خلال مرحلتين أو مسارين متضادين ومتصاحبين في آن الوقت، وهما هدم البنية ثم إعادة بناءها، أو بعبارة أخرى التلاشي الدلالي والتشكّل الدلالي. (حمد، 2013)

ويمكن تلخيص المرحلتين اللتين يمر بهما الفعل الشعري عند كوهين على النحو الآتي:
 - المرحلة الأولى: ويتم فيها هدم القواعد اللغوية من طرف الشاعر المبدع، حيث تتجرد فيها اللغة من وظيفتها التواصلية وتتلاشى الروابط بين الدوال والمدلولات وتسود علاقات من قبيل التعارض والتباعد وعدم الانسجام الدلالي.
 - المرحلة الثانية: ويتم فيها إعادة التشكيل في صورة جديدة، من طرف متلقي الشعر الذي يعيد النظر والتفكير في البنى والدلالات الجديدة وتأويل مقاصدها كي لا يفقد الشعر انتماءه للغة. (حمد، 2013)

مما سبق يمكننا القول بأنه بالرغم من أن كوهين يمنح الدور المحوري للمبدع، إلا أنه يقر ولو بشكل ضمني بأن الفعل الشعري والأدبي بصفة عامة يتحقق من خلال علاقة تفاعلية بين المؤلف والقارئ.

وتتقاطع أفكار كوهين مع أفكار ريفاتير الذي ينتقل، من جهته، بمفهوم الانحراف الأسلوبي من مجرد ظاهرة لغوية إلى نظرية مبنية على العلاقة التفاعلية بين النص والقارئ. إذ يرى أن عملية التكوين الأسلوبي هي عبارة عن جملة من الإجراءات تستند بالأساس إلى القارئ لأنه متلقي رسالة الكاتب، ذلك أن الانزياح بالنسبة له ليس مجرد الخروج عن النمط

المعياري المؤلف بقدر ما هو أداة أسلوبية تؤثر على القارئ وتحثه على التفاعل مع النص. وبالتالي فإن المتلقي بالنسبة لريفاتير هو محور الفعل الأسلوبي، إذ يمكن استخدام استجاباته وأحكامه – إيجاباً أو سلباً – وكذا ردود أفعاله تجاه النص كمؤشرات موضوعية لتشخيص بنيته الفنية وبيان الحدث الأسلوبي وأسباب تأثيره، ممهداً بذلك الطريق لمنهج أسلوبي يقوم على التحليل الموضوعي لعملية التلقي. (فضل، 1998)

3.1.2. أنواع الانزياح الأسلوبي

يرى احمد محمد ويس – نقلاً عن آراء جان كوهين (Jean Cohen) في كتابه "بنية اللغة الشعرية" – أنه يمكن تقسيم الانزياحات إلى صنفين رئيسيين تندرج ضمنهما جميع أشكال الانزياح. يرتبط الصنف الأول من الانزياحات بجوهر المادة اللغوية واصطلاح عليه تسمية: "الانزياح الاستبدالي"، أما الصنف الثاني فيرتبط بتركيب تلك المادة مع جاراتها في السياق الذي وردت فيه، واصطلاح عليه تسمية: "الانزياح التركيبي". (ويس، 2005)

1.3.1.2. الانزياح الاستبدالي (أو الدلالي)

يرتبط الانزياح الاستبدالي بالتغير الذي يطرأ على دلالة الكلمة أو التعبير جزأً توظيفها في سياق معين أو استخدام أرادته الشاعر في النص، بمعنى اختلاف الدلالة باختلاف الموقف والتوظيف. ما من شأنه جعل القارئ يعيد التفكير في الرسالة وتأويل مقاصدها. ويؤكد جان كوهين – من خلال تحليله للبنى الدلالية للغة الشعرية – أن الشعرية تتضح جلياً عندما تهدم العلاقة بين الدال والمدلول، مما يؤدي إلى خلق معان جديدة تتزاح عما هو مألوف، إذ يرى أن هذا النوع من الانزياح هو جوهر الشعرية، ذلك أنه يُكسب اللغة أبعاداً إيحائية ورمزية تزغ من خلالها عن المعاني المعجمية المباشرة ويحول المعنى إلى تجربة حسية وجمالية (كوهين، 1986). ومن أمثلة استخدام الكلمات والتعابير في قوالب جديدة أو غير معتادة، الاستعارة والكنية والمجاز والتشبيه ومبدأ التناقض... إلخ

2.3.1.2. الانزياح التركيبي

ويحدث هذا الانزياح عند تغيير طرق ربط وترتيب الدوال داخل الجملة خلافاً لما تسنه قواعد النحو التقليدية بهدف تحقيق تأثير جمالي أو دلالي معين في النص الشعري. يقول جان كوهين في هذا الصدد: "إن النحو هو الركيزة التي تستند إليها الدلالة، فبمجرد ما

يتحقق الانزياح، بدرجة معينة، عن قواعد ترتيب وتطابق الكلمات تذوب الجملة وتتلاشى قابلية الفهم." (كوهين، 1986، ص. 178) إذ يرى أن الانزياح التركيبي يُمكن الشاعر من إضافة بعداً جديداً للنص من خلال مخالفته للبنى الاعتيادية للعبارة والجملة لغرض إبراز تناقضات أو التأكيد على معانٍ يود إيصالها. يقول احمد ويس أن: "العبارة الأدبية أو التركيب الأدبي قابل لأن يحمل في كل علاقة من علاقاته قيمة أو قيماً جمالية. فالمبدع الحق هو من يمتلك القدرة على تشكيل اللغة جمالياً بما يتجاوز إطار المؤلفات، وبما يجعل التنبؤ بالذي سيسلكه أمراً غير ممكن. ومن شأن هذا إذن أن يجعل متلقي الشعر في انتظار دائم لتشكيل جديد." (ويس، 2005، ص. 120). ومن أبرز مظاهر الانزياح التركيبي: التقديم والتأخير للمسند والمسند إليه والحذف والالتفات.

2.2. من منظور دراسات الترجمة

وقد حظي مفهوم الانزياح (Shift) باهتمام واسع في دوائر الدراسات الترجمة وتناولته أقلام العديد من الباحثين والمنظرين بإسهاب. فيما يلي سنعرض أهم الدراسات التي تناولته.

1.2.2. نموذج فيناي وداربلنيه

قام المنظران جان بول فيناي وجان داربلنيه بدراسة تستند إلى التحليل الأسلوبي المقارن بين اللغتين الفرنسية والإنجليزية، تهدف إلى رصد كل الاختلافات التي من شأنها خلق صعوبات ومشاكل تعيق عملية الترجمة بين اللغتين. فخلصا إلى أن الفعل الترجمي يتحقق من خلال استراتيجيتان هما: الترجمة المباشرة (Direct Translation) والترجمة الملتوية أو غير المباشرة (Oblique Translation)، تضمّنان سبع إجراءات ترجمية تندرج ثلاثة منها ضمن الترجمة المباشرة، وهي: الاقتراض والنسخ والترجمة الحرفية، والأربعة المتبقية ضمن الترجمة غير المباشرة، وهي: الإبدال، والتطويع، والتكافؤ، والتصرف.

وبما أن موضوع بحثنا يتمحور حول فكرة الانزياح، سنستثني استراتيجيات الترجمة المباشرة وسنركز نقاشنا حول استراتيجيات الترجمة غير المباشرة، ذلك أن الإجراءات الأربعة لهذه الإستراتيجية هي فقط ما يمكن اعتباره إنزياحاً ترجمياً. ولقد أجمع العديد من الباحثين من أمثال "أنثوني بيم" و"جيريمي منداي" على أنه وبالرغم من أن فيناي وداربلنيه لم يستخدموا مصطلح "الانزياح" (Shift) "بشكل صريح، إلا أن ما ناقشاه في تحليلهما

للتحولات التي تحدث في الترجمة أثناء شرحهم لتلك الإجراءات الأربعة المتعلقة بالترجمة غير المباشرة هو في الحقيقة وصف لمفهوم الانزياح الترجمي بعينه (Munday, 2009) يرى فيناي ودارليني أن المترجم يلجأ إلى إجراءات الترجمة غير المباشرة بدافع مخافته من ضياع المعنى أو جزء منه لاعتبارات تركيبية أو ما وراء لغوية (structural and metalinguistic requirements)، بمعنى أن المترجم ينزاح عن الحرفية بحثاً عن مكافئات ترجمية تؤدي الوظيفة التواصلية والأسلوبية للرسالة في حال أدت الترجمة الحرفية إلى ضياع المعنى، أو أنتجت معنى مغاير، أو استحاللت لأسباب لغوية تركيبية، أو لعدم توافر مقابلات تعبيرية ضمن التجربة الما وراء لغوية للغة الهدف. (Munday, 2009) كما يحدد المنظران خمسة مراحل هامة ينبغي على المترجم اتباعها أثناء انتقاله من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف وهي (Munday, 2009, p. 59):

1. تحديد الوحدات الترجمية: الوحدة الترجمية (Unit of Translation) عند فيناي ودارليني هي أصغر وحدة، في النص، ترتبط عناصرها فيما بينها ارتباطاً يجعل ترجمة كل عنصر على انفراد غير ممكنة، وهي تتكون، بالنسبة لهما، من اتحاد وحدة معجمية (Lexical Unit) ووحدة دلالية (Unit of Thought).
2. فحص وتشخيص النص المصدر: من خلال معالجة وتقييم المحتوى الوصفي، والانفعالي، والفكري والدلالي لوحده.
3. إعادة بناء السياق الما وراء لغوي (metalinguistic context) للرسالة.
4. تقييم الآثار الأسلوبية (stylistic effects).
5. إعادة إنتاج ومراجعة النص الهدف.

وبعد مناقشتنا للنموذج الذي قدمه فيناي ودارليني، يمكننا أن نخلص إلى أن مفهوم الانزياح الترجمي يتمحور حول التحولات والتغيرات التي تطال الوحدات الترجمية على المستويين اللغوي التركيبي والفكري الدلالي أثناء عملية الترجمة والتي تهدف إلى المحافظة على المعنى والآثار الأسلوبية لرسالة اللغة المصدر.

2.2.2. كاتفورد وانزياحات الترجمة

يعتبر جون كانيسون كاتفورد أول من سن مصطلح "انزياح الترجمة" (Translation Shift)، وقد استعمله في مؤلفه الشهير: "نظرية لسانية للترجمة" (A Linguistic Theory of

Translation) للدلالة على تلك التغيرات اللغوية التي تحدث أثناء الترجمة، حيث قام بدراسة اللغة باعتبارها وسيلة للتواصل تؤدي وظيفتها داخل سياق معين وعلى مستويات (Levels) مختلفة: الفونولوجي، الكتابي، النحوي، المعجمي، ومن خلال وحدات (Units or Ranks) متعددة: جمل، أشباه الجمل، عبارات، ألفاظ، مورفيمات... إلخ. تمكن كاتفور من خلال دراسته تلك، إلى التمييز بين أسلوبين في الترجمة أطلق عليهما تسمية: التقابل الشكلي (Formal Correspondence) والتكافؤ النصي (Textual Equivalence) ويعرفهما كالآتي:

- التقابل الشكلي:

"A Formal Correspondent is any TL category (unit, class, element of structure, etc.) which can be said to occupy, as nearly as possible, the "same place" in the "economy" of the TL as the given SL category occupies in the SL" (Catford, 1965, p. 27).

"المقابل الشكلي هو أي فئة من لغة الهدف (وحدة، أو جزء، أو عنصر من عناصر التركيب... إلخ) يمكن القول إنها تشغل "نفس الموقع" - في "نظام" لغة الهدف - الذي تشغله الفئة المقابلة في لغة المصدر بأكبر قدر ممكن من التوافق" (ترجمتنا). ويجدر التوضيح هنا أن مصطلح "Economy" (الذي أوردناه في ترجمتنا بلفظ "نظام") أشار به كاتفورد إلى التنظيم التركيبي والوظيفي للغة، وقد استخدمه مجازاً لوصف الكيفية التي يستعمل بها نظام لغة معينة العناصر اللغوية مثل: النحو والتركيب، والمفردات، لتؤدي وظائف محددة.

- التكافؤ النصي:

"A textual equivalent is any TL text or portion of text which is observed on a particular occasion, ..., to be the equivalent of a given SL text or portion of text" (Catford, 1965, p. 27).

"المكافئ النصي هو نص أو جزء من نص في لغة الهدف يمكن اعتباره في سياق معين... مكافئاً لنص أو جزء من نص يقابله في اللغة المصدر" (ترجمتنا).

يمكننا القول بأن التكافؤ النصي بالنسبة لكاتفورد مرتبط بسياق معين يمكن من خلاله اعتبار نص من لغة المصدر مكافئاً لنص من لغة الهدف. فعلى عكس التقابل الشكلي الذي ينزع إلى إظهار أوجه التشابه التركيبية والوظيفية-النحوية بين اللغات، فإن التكافؤ النصي يهتم بالمعنى والوظيفة الفعلين لنص ما في سياق محدد. وانطلاقاً من هذا الطرح، يرى كاتفورد أن أي تبين أو اختلاف بين المفهومين أثناء أداء الترجمة من شأنه أن يتسبب في حدوث "الانزياح الترجمي" (The Translation Shift)، إذ أن هذا التباين تفرضه عوامل ثقافية أو سياقية تجعل المترجم ينزاح إلى استخدام أساليب غير تقابلية (Non-corresponding Styles) أو سياقية لإحلال التكافؤ في ترجمته، أي ينتهج التكافؤ النصي بدل التقابل الشكلي (Catford, 1965). ويعرف كاتفورد انزياحات الترجمة على النحو التالي:

"Departures from formal correspondence in the process of going from the SL to the TL" (Catford, 1965, p. 73)

"التغيرات التي تطرأ على التوافق الشكلي أثناء عملية الانتقال من لغة المصدر إلى لغة الهدف" (ترجمتنا).

ويقسم كاتفورد انزياحات الترجمة إلى صنفين أساسيين هما: انزياحات المستوى (Level Shifts) وانزياحات الفئة (Category Shifts). فأما النوع الأول فيشير إلى تلك التغيرات التي تحدث على المستويين النحوي والمعجمي عند الترجمة من لغة إلى أخرى، أو بمعنى أدق، عند التعبير عن عناصر نحوية من لغة المصدر بعناصر معجمية في لغة الهدف أو العكس. وأما النوع الثاني فيقصد به التغيرات التي تحدث على مستوى الأبنية والوحدات اللغوية (Catford, 1965).

وقد ركز كاتفورد أغلب دراسته وتحليله على النوع الثاني من الانزياحات، أي إنزياحات الفئة، إذ أسهب في شرحها من خلال تقسيمها إلى أربع أنواع فرعية أخرى، وهي: الانزياح التركيبي (وهو التغير الذي يحدث على البنى والتراكيب النحوية عند نقلها إلى لغة أخرى)، وانزياح أقسام الكلام (ويتمثل في التعبير عن قسم من أقسام كلام لغة بقسم يختلف عنه في لغة أخرى كأن يقابل الفعل إسمًا أو نحو ذلك)، انزياح وحدات الكلام (ويُشير إلى التحول الذي يطال الوحدات اللغوية، كما حددها كاتفورد، أثناء الترجمة، كأن تُكافئ الكلمة عبارة أو الجملة كلمة أو نحو ذلك)، الانزياح داخل نظام اللغة (وهي التغيرات التي

تمس الأنظمة الداخلية للغة الهدف عند الترجمة، مثل الجمع والإفراد والتعريف والتذكير). (Catford,1965)

تعتبر الدراسة التي قام بها كاتفور أول عمل فعلي في تاريخ الدراسات الترجمية يتطرق إلى ظاهرة الانزياح في الترجمة (Translation Shift)، إذ استطاع أن يسلط الضوء على بعض الجوانب المظلمة للفعل الترجمي وأن يبرز من خلالها عدد من الاختلافات اللغوية والسياقية والثقافية التي طالما شكلت عقبات في وجه المترجمين، فاتحاً المجال بذلك للعديد من الدراسات التي تلتها، سواء أكانت تتعلق بنفس الظاهرة أو حتى تلك التي اتخذت من مفهوم التكافؤ الترجمي إطاراً فكرياً لبناء مقارباتهم ونظرياتهم.

3.2.2. الانزياح الدلالي التدريجي لليفي:

أخذت دراسات الترجمة المتعلقة بظاهرة الانزياح الترجمي في سنوات الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي منحاً أدبياً من خلال تركيزها على الوظيفة التعبيرية وأسلوب النص. ويعتبر جيرى ليفي (Jir'í Levý) أحد أبرز الباحثين في هذا التيار، إذ أعار اهتماماً كبيراً للبنية السطحية لكل من اللغة المصدر واللغة الهدف في ترجمة الشعر. فخلص إلى أن الترجمة الأدبية بصفة عامة، وترجمة الشعر على وجه الخصوص، هي عمل يجمع بين إعادة الإنتاج والإبداعية في آن واحد، يهدف بالأساس إلى إحلال أثر جمالي مكافئ في لغة الهدف. واقترح مجموعة من الخصائص الأسلوبية تتعلق بالنص الأدبي التي من الممكن أن تكون فيها عملية تحقيق التكافؤ ضرورية، وتشمل: التعيين (Denotation)، والتضمن (Connotation)، والتشكيل الأسلوبي (Stylistic Arrangement)، والتراكيب (Syntax)، والتكرار الصوتي (Sound Repetition)، وغيرها (Munday, 2009). كما تطرق ليفي لمفهوم الانزياح في الترجمة من وجهة نظر مختلفة نوعاً ما (أي تختلف عن وجهة النظر اللسانية التي قدمها كل من كاتفور وفيناى وداربلنيه)، بحيث أدرج من خلال بحثه الموسوم بـ "الترجمة باعتبارها عملية اتخاذ قرار (Translation as a Decision Process)" مفهوماً جديداً أطلق عليه اسم: "الانزياح الدلالي التدريجي" (Gradual Semantic Shifting)، وهو عبارة عن حالة من الانزياح الدلالي ترتب عن خيارات المترجمين اللغوية، في إشارة منه لنظرية تعرف بـ "نظرية اللعبة (Game Theory)" (Munday, 2009).

في الحقيقة، استلهم ليفي أفكاره من "نظرية اللعبة" لعالم الرياضيات جون فون نويمان (John von Neuman)، وهي لعبة عقلية صُمِّمت من طرف هذا الباحث لدراسة السلوك المعرفي للمشاركين، بحيث يمكن للاعب تقليل الخسارة التي قد يلحقها به خصمه إلى حدِّها الأدنى (Data-Bukowska, 2015).

وقد طبق ليفي هذا التصور على دراسات الترجمة من خلال موازاته بالفعل الترجمي، إذ استخدم مبدأ "المينيماكس" (Minimax) "أو مبدأ الحد الأدنى من الحد الأقصى للخسارة (وهو المبدأ الذي تقوم عليه نظرية اللعبة)، في تحليله لعملية اتخاذ القرار التي يتسم بها الفعل الترجمي، إذ يرى - من خلال مقارنته بين نظرية الترجمة وتطبيقها - أن نظرية الترجمة ذات طابع وصفي معياري، لأنها تقدم للمترجمين حلولاً مثلى، في حين أن واقع الممارسة الفعلية للترجمة يختلف تماماً عن ذلك، إذ يطغى عليه الطابع التداولي البرغماتي (Pragmatic)، وهو الأمر الذي يؤثر على القرارات التي يتخذها المترجمون أثناء أدائهم للترجمة.

يقول ليفي في هذا الصدد:

"The translator resolves for that one of the possible solutions which promises a maximum of effect with a minimum of effort. That is to say, he intuitively resolves for the so-called MINIMAX STRATEGY" (Munday, 2009, p. 62)

"يحسم المترجم قراره في اختيار ذلك الحل الذي يتيح له ضمان أقصى حد من الأثر مقابل أدنى حد من الجهد، بمعنى أنه يقرر، وبشكل حدسي، الاعتماد على الاستراتيجية المسماة 'الحد الأدنى من الحد الأقصى' (ترجمتنا).

على غرار نظرية اللعبة، يجد المترجم نفسه مجبراً على اتخاذ قراره بشأن اختيار حل من بين جملة الحلول المتاحة له. ومع أن هذا الخيار الذي يتبناه سيؤثر بشكل أو بآخر على الخيارات التي ستليه، مع ذلك سيظل متصل بوضوح بالمقام التقديري للمترجم وبوعيه بتوقعات الجمهور المتلقي في لغة الهدف. وبناءً على كل هذه العوامل، يحاول المترجم متبعاً حدسه الوصول إلى حلٍ يضمن له أكبر قدر من الأثر بأقل المجهودات، إذ من خلال اتباعه لاستراتيجية "الحد الأدنى من الحد الأقصى" (Minimax)، سيتوخى المترجم إجراءً اقتصادياً يضمن له ربح الوقت والجهد في آن واحد.

كما يقترح ليفي نوعين من الضوابط الملازمة للأداء الترجمي: الضابط التعريفي (Dfinitional) والضابط الانتقائي (Selective). أما الضابط التعريفي فيحدد ما يصطلح عليه تسميه (Paradigm)، ويقصد به حقل البدائل اللغوية، أي الحقل الذي يضم مجموعة الحلول اللغوية الممكنة. إلا أن هذه البدائل (مجموعة الألفاظ والتعبير التي تمثل حلولاً ترجمية) ليست مكافئة كلياً للأصل، بل هي عبارة عن شبه مرادفات تخضع لسُلّم تفضيلي تحدده جملة من المعايير من قبيل المستوي اللغوي والأسلوبي (Register)، والدلالات التضمنية (Connotations) وغيرها. وأما الضابط الانتقائي، فيتمحور دوره حول توجيه فعل الاختيار داخل سياق محدد، هذا يعني أن ضابط الانتقاء تربطه علاقة احتواء بضابط التعريف، أو بعبارة أخرى، علاقة الفرع بالمجموعة، أي أنه وبواسطة الضابط الانتقائي يتم ضبط مجموعة فرعية داخل مجموعة الخيارات الممكنة التي حددها الضابط التعريفي من خلال استبعاد عناصر أخرى، وتستمر العملية على هذا المنوال إلى أن تُستنفذ جميع الخيارات ونصل إلى حقل دلالي أحادي العنصر أي خيار ترجي نهائي، واحد وواحد فقط (Data-Bukowska, 2015).

ومن هذا المنظور، يمكننا وصف فعل الترجمة على أنه عملية اتخاذ قرار ديناميكية ونشطة، فمفهوم "الانزياح الدلالي التدريجي" (Gradual Semantic Shifting) الذي يقدمه ليفي ما هو إلا حالة من الانزياح ناتجة عن عملية الانتقاء التدريجي للمترجمين من خلال تطبيقهم لاستراتيجية الحد الأدنى من الحد الأقصى (Minimax)، الذي تجنّبهم التجريب العشوائي الزائد الذي يتطلب جهداً معرفياً، والذي قد تترتب عنه نتائج غير مرضية من حيث الأثر الترجمي وجودة النص.

4.2.2. النموذج المقارن-الوصفي لفان لوفن زوارت:

تعتبر مقاربة كيتي فان لوفن زوارت (Kitty Van Leuven-Zwart) محاولة جادة ومفصلة لإرساء وتطبيق نموذج لدراسة وتحليل الانزياحات الترجمية (translation Shifts)، حيث استندت فيه على كل من أعمال فيناني ودارليني من جهة، وأعمال بوبوفيتش وليفني من جهة أخرى، لإجراء المقارنة بشكل منهجي ولبناء إطار خطابي يتجاوز مستوى الجملة. ويتكون نموذج فان لوفن زوارت - كما هو واضح من خلال تسميته - من نموذجين فرعيين أو من شقين: الشق المقارن والشق الوصفي، لأنها كانت ترى - متأثرة بأفكار

بوبوفيتش – أن التوجهات التي يحددها ويوضحها هذان النموذجين الفرعيين يمكن أن تقدم مؤشرات حول المعايير الترجمية المعتمدة من طرف المترجمين. ويتميز كل من النموذجين بما يلي : (Munday, 2001, pp. 63-66).

- النموذج المقارن (The comparative model): يقوم هذا النموذج على إجراء مقارنة دقيقة بين النص المصدر ونص الترجمة واستخلاص وتصنيف كل الانزياحات البنيوية الصغرى (Microstructural Shifts) على مستوى المفردات والعبارات والجمل. حيث قامت الباحثة بتقسيم النصين إلى وحدات نصية مفهومة متقابلة سمّتها "الترانسيمات" (Transemes) أو الوحدات الدلالية، ثم قامت بتحديد مفهوم "الأركيترانسيمات" (Architransemes)، التي يمكن ترجمتها بالوحدة الدلالية المشتركة، والتي تمثل المعنى المجرد والثابت للوحدة الدلالية أو الترانسيم (بالنسبة للغة المصدر واللغة الهدف). وتستعمل الوحدة الدلالية المشتركة (Architransemes) في المقارنة بين الوحدات الدلالية المتقابلة في اللغتين أي ترانسيمات كل من لغة المصدر ولغة الهدف. فإذا وجدت علاقة ترادفية بين الوحدة الدلالية المشتركة (Architransemes) وكل من الوحدات الدلالية (Transemes) للفتين، معنى ذلك أنه لا وجود لانزياح، وأما إذا غابت تلك العلاقة الترادفية، فهذا يدل على وجود انزياح ترجي. وقسمت كل الانزياحات الممكنة إلى ثلاث أصناف :

1. التطويع (Modulation) : عندما يوافق أحد الترانسيمات الاركيترانسيم، بينما يختلف عنه الترانسيم الآخر دلاليًا أو أسلوبياً.

2. التعديل (Modification) : عندما يعكس كل من ترانسيمي لغة المصدر ولغة الهدف شكلاً من أشكال عدم الترابط، دلاليًا، أو أسلوبياً، أو تركيبياً، أو تداولياً، أو الجمع بين هذه الجوانب، مقارنةً بالاركيترانسيم.

3. التحويل (Mutation) : عند استحالة استخلاص اركيتراسيم، بمعنى غياب أي دلالة مشتركة بين ترانسيمات اللغتين بسبب الإضافة أو الحذف أو حدوث تغيير جذري في المعنى على مستوى لغة الهدف.

- النموذج الوصفي (The descriptive model): ويقوم على دراسة الانزياحات البنيوية الكبرى (macrostructural shifts) ، أي الانزياحات التي تتعدى مستوى المفردات أو الجمل

لتشمل البنية الكلية للنص، من خلال تأثير الانزياحات البنيوية الصغرى (Microstructural Shifts) التي حددها النموذج المقارن، حيث يتم تحليل الخطاب (اللغة والتعبير) استناداً إلى الوظائف اللغوية الثلاث: التفاعلية (Interpersonal)، التصورية (Ideational)، والنصية (Textual). فقد لاحظت فان لوفن زوارت أن تردد حدوث أنماط معينة من الانزياحات البنيوية الصغرى من شأنه التأثير على أحد الوظائف المذكورة وهو ما يمكن اعتباره انزياحاً بنيوياً أكبر، إذ ترى أن مقبولية الترجمة ترتبط بمدى توجهها نحو النص الهدف، أي بمدى تركيزها على مقروئية النص المترجم.

في الأخير يمكننا القول إن النموذج المقارن-الوصفي لفان لوفن زوارت هو نموذج ذو طابع شمولي، لأنه يحاول الربط بين مستويات النص من خلال الجمع بين البنية الجزئية والبنية الكلية في دراسة واحدة وشاملة لكل مظاهر انزياحات الترجمة، على عكس نماذج فيناي وداربلنيه وكاتفورد التي ركزت على البنى الصغرى للغة فحسب.

5.2.2. أنواع الانزياحات الترجمية عند بوبوفيتش:

وظّف أنطون بوبوفيتش (Anton Popovič) في مقاله "مفهوم الانزياح التعبيري في تحليل الترجمة" (The Concept Shift of Expression in Translation Analysis) مفهوم "الانزياح التعبيري" للإشارة وبشكل موضوعي لفكرة "الخسارة والربح" في الترجمة، إذ يورد تعريفاً لانزياح الترجمة كما يلي:

"All that appears as new with respect to the original or fails to appear where it might have been expected, may be interpreted as a shift" (1970, Fouad and Sadkhan, 2015, p. 6).

"كل مستجدٍ مقارنةً بالأصل، أو كل ما لم يظهر حيث كان متوقعاً، يمكن اعتباره انزياحاً" (ترجمتنا)

كما يرى أن انزياحات الترجمة ليست نتيجة لرغبة المترجم في تغيير النص الأصلي أو أثره الفني بقدر ما هي سعي جاد منه للحفاظ عنه وعن خصائصه، ذلك لإيمانه بأن مفهوم الانزياح التعبيري (Shift of Expression) يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الأمانة في الترجمة (Faithfulness). وبالتالي فإن المترجم بحاجة لهكذا انزياحات كي يتحلى نقله بالأمانة

للأصل، فكلما كان وعي المترجم بمقتضيات وثقافة لغة الهدف وتوقعات متلقيها كبيراً، كلما أثقلت كاهله مسؤولية الأمانة تجاه النص الأصل .

وبعيداً عن التصنيف اللساني المحض لكاتفورد الذي اهتم فقط بالبنية الصغرى للنص، يقسم أنطون بوبوفيتش انزياحات الترجمة، من منظور أدبي - لساني إلى سبعة أصناف وهي (Biloveský, 2014, p. 1179):

1. الانزياح التكويني (constitutive shifts) : ويحدث هذا النوع من الانزياحات بسبب اختلاف اللغتين لغوياً أو ثقافياً، وهو اجباري. إذ أن المترجم مطالب بإحلال نوع من التكافؤ بين رسالتي اللغتين.

2. الانزياح الفردي (individual shifts) : ويعكس هذا النوع من الانزياح الاختيارات الشخصية للمترجم.

3. الانزياح الدلالي-الإبطائي (semantic-retardation shifts) : ويعمل هذا الانزياح على تبطئ أو تأجيل الأثر الأسلوبي أو المعنوي للنص المصدر مقارنة بالنص الهدف.

4. الانزياح السلبي (negative shifts) : ويشير إلى خسارة أو فقدان بعض الخصائص الأسلوبية أو الدلالية المعبر عنها في النص المصدر.

5. الانزياح الموضوعي (thematic shifts) : ويحدث عند إعادة توجيه تركيز الموضوع أو تغيير مواضع التوكيد.

6. الانزياح النوعي (generic shifts) : وهو التغير في الجنس الأدبي أو نوعه كأن يترجم الشعر بالنثر أو العكس .

7. الانزياح الإيقاعي (rhythmic shifts) : التغير الذي يطرأ على الإيقاع الصوتي أو البنية العروضية للنص الأصل.

ثم يذهب بوبوفيتش إلى اقتراح أربع مستويات يمكن أن تحدث فيها الانزياحات المذكورة: (Biloveský, 2014, p. 1179)

1. الذاتي / الموضوعي (subjective/objective) : وهو المستوى الذي يمكن من خلاله التمييز بين الانزياحات الفردية والانزياحات التكوينية،

2. الثابت / المتغير (invariant/variant) : وهو المستوى الذي تُقدر فيه سلبية أو إيجابية الانزياح الترجمي. وذلك بالاستناد إلى طبيعة وحجم الثابت النصي المشترك (Intertextual)

(invariant، ومقدار الخسارة والتعويض، وكذا درجة الحفاظ على الشحنة الدلالية والجمالية للنص.

3. البنية الكبرى / البنية الصغرى للنص (macrostructure/microstructure): ويشير هذا المستوى إلى النطاق الذي يقع فيه الانزياح الترجمي، إذ يضم مجموعة كبيرة ومتنوعة من الانزياحات، يتم تصنيفها بحسب المساحة النصية التي يشغلها كل انزياح.

4. الأداء الوظيفي / انعدام الأساس (functionality/baselessness): وهو المستوى الذي يمكن من خلاله تحديد العلاقة بين الانزياح الترجمي والسياق العام الذي أُنجزت فيه الترجمة، وذلك بالاستناد إلى معايير: أسلوب المترجم - المدرسة الترجمية - منهج الترجمة - التيار الفكري الذي ينتمي إليه المترجم في زمن معين. ويضم هذا المستوى الانزياحات النوعية، والإيقاعية، والموضوعية، والدلالية الإبطائية وغيرها. ويساعد هذا المفهوم على تحديد جوهر الانزياح ونسبية تصنيفه، من خلال الاحتكام لمعيار أعلى يتمثل في هدف التواصل الأدبي أو في حالة الترجمة هدف التواصل فوق-النصي (Metacommunication).

من خلال هذا النموذج التصنيفي المقترح، يمكن القول إن بوبوفيتش يرى أن الانزياح الترجمي يتولد من تفاعل النص الأصلي مع اللغة والثقافة الجديدة، فهو لا يعتبر الانزياح سمة سلبية في الترجمة، بل نتيجة حتمية، طبيعية في كل الترجمات، أو بالأحرى سمة مميزة للترجمة باعتبارها فعلاً تواصلياً ثقافياً. كما يمكن القول أيضاً أن عمل بوبوفيتش هذا، لم يأت كمحاولة منه لإرساء قواعد تتعلق بما يتوجب أن يكون عليه النص عند انتقاله إلى لغة وثقافة أخرى، بل كمحاولة لوصف الظواهر والإجراءات المصاحبة لعملية ترجمة أو انتقال ذلك النص.

3. العلاقة بين الانزياح الأسلوبي (Stylistic Deviation) والانزياح الترجمي (Translation Shift):

يتقاطع مفهوم الانزياح في الترجمة (Translation Shift) ومفهومه في الدراسات الأسلوبية (Deviation) في فكرة العدول، التغير، أو التحول؛ أي الخروج عن معيار ما. فلماً كان الانزياح الأسلوبي في الأدب يُشار به إلى الخروج عن القواعد المعيارية للغة، فإن مصطلح الانزياح الترجمي يُستعمل للتعبير عن التحولات والتغيرات التي تطرأ على الألفاظ والتراكيب

أثناء الفعل الترجمي، أي أثناء نقلها من لغة إلى أخرى، أو بتعبير آخر، الخروج والابتعاد عن النص الأصلي لغوياً، أو دلالياً، أو حتى أسلوبياً. ولكن هذا الابتعاد لا يعكس بالضرورة عيباً أو ضعفاً في الترجمة كما أقر بوبوفيتش، بقدر ما يعكس ضرورة ترجمة يفرضها السياق التواصلية اللغوية الثقافية، إذ يسعى من خلاله المترجم إلى خلق توازن بين النصين من ناحية الشكل والدلالة والأثر الأسلوبية. وبالتالي لنا أن نقول بأن فعل الانزياح، الأسلوبية والترجي، متشابهان مختلفان في آن واحد؛ متشابهان من حيث إن كل منهما يعبر عن خروج عن القاعدة المعيارية، ومختلفان من حيث إن كل منهما ينتمي لحقل معرفي مختلف له مجاله الخاص في الدراسة.

غير أن اللافت للنظر في هذا السياق، أنه عند تعامل المترجم مع نص مكتوب بلغة شعرية أو فنية تنزع إلى العدول عن اللغة المعيارية المألوفة من خلال توظيفها لشتى أنواع الانزياحات الأسلوبية، يجد نفسه أمام معادلة ذات مجهولين، أو لنقل تحدي ذو وجهين. فهو، من جهة، مطالب بالحفاظ على لغة ودلالات النص الأصلي، ومن جهة أخرى، مطالب بنقل الأثر الأسلوبية لرسائلته بأكبر قدر ممكن من الأمانة. ومن هنا يمكن أن نستنتج أن العلاقة الحقيقية بين الانزياحين تظهر من خلال تفاعلها أثناء أداء الترجمة، بحيث تولّد عملية البحث عن مكافئات وظيفية للنص المصدر فعلاً انزياحياً في الترجمة، يساعد المترجم على إعادة انتاج أقرب مكافئ طبيعي للانزياح الأسلوبية المراد نقله إلى لغة الهدف؛ أولاً من ناحية الدلالة اللغوية، وثانياً من ناحية الأثر الأسلوبية أو البلاغي.

وبالتالي فإن انزياح الترجمة (Translation shift) ما هو إلا النتيجة المباشرة لمسعى إعادة تشكيل الانزياح الأسلوبية (Stylistic Deviation) الوارد في النص المصدر، في حدود ما تسمح به مقتضيات وخيارات اللغة الهدف. ومنه يمكننا أن نخلص إلى أن العلاقة التي تربط الانزياحين هي علاقة سببية، أي علاقة ارتباط بين سبب ونتيجة، يؤدي فيها الانزياح الأسلوبية دور المُحَفِّز (Stimulus)، وانزياح الترجمة دور الاستجابة أو ردة الفعل (Response). لذا يمكن نقول في الأخير إن انزياح الترجمة (Shift) هو الصورة الترجمية لانزياح الأسلوب (Deviation).

4. تفاعل الانزياح الترجمي والانزياح الأسلوبية أثناء عملية الترجمة:

فيما يلي سنورد ثلاثة نماذج توضيحية لمقاطع منتقاة من قصيدة: "مأساة النرجس وملهاة الفضة"، للشاعر الفلسطيني محمود درويش (1989)، والترجمة الإنجليزية: لفاضل جكتر (1989)، ونخضعها للتحليل كأمثلة عملية، في ضوء ما سبق ذكره مع التركيز على نموذج أنطون بوبوفيتش (Anton Popovič)، لإبراز مواطن التفاعل بين المفهومين من خلال تحديد وتحليل فعل الانزياح الأسلوبي في النص المصدر وكذا فعل الانزياح الترجمي في النص الهدف.

1.4. تحليل الترجمة ومقارنتها بالنص الأصلي:

قبل الشروع في تحليل المقاطع المختارة ينبغي أولاً تحديد الإطار التاريخي للقصيدة وأسباب نظمها حتى تكون للتحليل مرجعية يستند إليها. من المعلوم أن قصيدة: "مأساة النرجس وملهاة الفضة" نظمها الشاعر الفلسطيني محمود درويش احتفاءً بانتفاضة الحجارة عام 1987 التي تمثل عودة الثورة بعد أن غابت خمس سنوات، أي منذ عام 1982 إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان (العراقي، 1998)، وتندرج هذه القصيدة ضمن قصائد المرحلة الملحمية من شعر درويش، إذ يتناول فيها محتوى فكري معقد يتمثل في إشكالية العلاقة بين الواقع (الوطن) وخيال العودة إليه (الحلم)، أي حالة التوتر بين المعاش والمأمول. كما يتداخل فيها الالتزام السياسي بالبعد الدرامي من خلال الاعتماد على الأساطير والرموز لتكثيف المعاني ووصف التجربة الإنسانية الجماعية. كما يعكس هذا العمل النضج الفني لدى الشاعر، حيث استطاع أن يجمع بين التأثير التعبيري والبساطة؛ فالأسلوب التعبيري لدرويش في هذه القصيدة يوظف الغريب للتعبير عن المألوف، مما يجعل تعبيره عن عناصر مثل الغضب، والإخلاص، والمنفى يتسم بعمق الفكرة وجمال الأداء. (جابر، 2020).

المقطع الأول:

النص الأصلي:

"هَبَّتْ رياحُ الخيل وانطفأت رياحُ الخيل، وانبتق الشعير من الشعير" (درويش، 1989،

ص. 89)

الترجمة:

Storms of horses broke out.



Then subsided
,then collapsed

Grain out of grain tossed. (Jetker, 1989, p. 37)

تحليل المعاني والأساليب:

هذا المقطع يحمل شحنة رمزية تتمثل في ألفاظ الريح والخيّل والشعير للتعبير عن الانتفاضة، ثم غيابها، ثم عودتها من جديد، وقد تضمن انزياحا تركيبياً تمثل في تكرار عبارة "رياح الخيل" وكلمة "الشعير" والذي خلق إيقاعاً يولد الإحساس بالدوران والتدفق. كما وصف الشاعر في هذا المقطع عدد من الانزياحات الإستبدالية مثل، "هبت رياح الخيل" كاستعارة مكنية، كما يمكن اعتبار عبارة "رياح الخيل" انزياحاً دلاليّاً أيضاً لأن الرياح لا تنسب عادة للكائنات، وقد حملت معنى مجازي يوحي إلى الاندفاع أو الثورة أو القوة. وكذلك يمكن اعتبار توظيف الشاعر لفعل "هبت" و"انطفأت" انزياحاً دلاليّاً من خلال استخدامه لأسلوب التضاد.

تحليل الترجمة

نلاحظ أنه على مستوى الترجمة حدثت مجموعة من الانزياحات الإيجابية، فترجمة جملة "هبت رياح الخيل وانطفأت رياح الخيل" (Storms of horses broke out. Then subsided, then collapsed) أظهرت انزياحا مركباً يجمع بين التركيبي والتكويني والإيقاعي، حيث استطاع المترجم من خلاله تعويض التكرار الوارد في النسخة الأصلية باستخدامه لثلاثة أفعال متتالية ولّد بها حركية تشبه حركية أفعال "هبت" و"انطفأت" الموظفة في النص المصدر. كما ان خيار (storm) كبديل لـ "الرياح" حافظ على الانزياح الدلالي الأصلي من خلال إبقائه على الصورة غير المألوفة بين "العاصفة" و"الخيّل" من حيث أنه نسب ظاهرة طبيعية لكائن حي، فبالرغم من أن هذا الانزياح فردي من منظور بوبوفيتش، إلا أنه يعتبر إيجابياً يخدم الأمانة في الحفاظ على الوظيفة الجمالية للمقطع. وأما عن ترجمة جملة "وانبثق الشعير من الشعير"، (Grain out of grain tossed) فقد حافظت على التكرار والنغمة في الجملة الأصلية، إلا أنها استبدلت كلمة "الشعير" بـ (grain)، ما يوحي بالتحول من التخصيص إلى التعميم، وفعل "انبثق" بفعل (tossed) الذي يحول دلالة الانبثاق كفعل يعبر عن التولّد اللطيف من الداخل إلى دلالة الرمي أو القذف كحركة عنيفة نحو

الخارج، وبالتالي فإن الانزياح الترجمي الذي لجأ إليه المترجم في هذه الحالة هو انزياح فردي إيجابي لأنه حافظ عن الانزياح الأسلوبي التركيبي للنص الأصل والمتمثل في التكرار، إلا أنه سلبي في جزء منه لأنه حول دلالة "التخصيص" في لفظ "الشعير" ودلالة "التولد" في فعل "انبثق".

المقطع الثاني:

النص الأصلي:

"بأيّ أسلحة تُصدّ الروح عن تحليقها؟" (درويش، 1989، ص. 89)

الترجمة:

What force can flying souls chain ? (Jeter, 1989, p. 37)

تحليل المعاني والأساليب:

جاءت صياغة هذا المقطع في شكل استفهام بلاغي وهو نوع من الاستفهام المجازي، يستخدمه الكاتب لا طلباً لجواب، بل لأغراض بلاغية من قبيل: الإنكار، والنفي، والتعجب، والتمني، والسخرية، والتقرير، والتشويق، وغيرها. وقد أراد به الشاعر في هذا المقام التعجب والتأكيد على استحالة تقييد الروح. وقد ولدت هذه الصياغة نوعين من الانزياح الأسلوبي: انزياح استبدالي وآخر تركيبي. يتوضح الانزياح الاستبدالي أو الدلالي من خلال استخدام الشاعر لسؤال بلاغي لغرضي أسلوبي، ولاستعارة شَبَّه فيها "الروح بالطير" وحول فيها مفهوم "القمع" إلى صورة "الأسلحة" و"منع التحليق" مما يضفي معنى سياسي، وأخلاقي ووجودي؛ فلا الروح تُصدّ بالأسلحة، ولا التحليق فعل حقيقي، بمعنى أن الشاعر انزاح عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي.

تحليل الترجمة

لقد جاءت الترجمة على هذا النحو: What force can flying souls chain ? والملاحظ أن هذه الترجمة استطاعت المحافظة على الاستعارة الرئيسية في المقطع، إذ احتفظت بصورة التحليق بترجمة: (flying souls)، كما عبرت عن فعل المنع أو التصدي باسمٍ يشير إلى أدوات المنع: السلسلة أو القيد (chain)، وهو استعمال شائع في الإنجليزية يوحي للإحساس بالقهر. بالتالي يمكننا القول إن هذه الترجمة تلائم الاستعمال الشعري. أما عن الانزياحات الترجمية في النص الهدف، فيمكننا رصد انزياح تركيبي، إذ أن الترجمة غيرت تركيب

السؤال كما ورد في الأصل، ولو أن الترجمة جاءت بهذه الصيغة: "By what weapons can the soul be prevented from soaring?" لما سُجِّلَ أي انزياح تركيب، إلا أن الشاعر عمد تغيير التركيب في محاولة منه لتشكيل مكافئ أسلوب. كذلك، يمكن تحديد انزياح معجمي-دلالي في استبدال الشاعر للكلمة "أسلحة" (weapons) بـ (force) أو (chain) ليحول الملموس "الأسلحة" إلى معنوي رمزي "القوة والقيد". كما يمكننا أيضاً رصد انزياحاً دلالياً يتمثل في صياغة السؤال، إذ أن السؤال في العربية جاء على شكل "بأي أسلحة؟" أما الترجمة فجاءت بصيغة (what force?) فتحول السؤال من البحث عن أداة خاصة (نوع السلاح) إلى البحث عن طبيعة القوة (ماهية القوة). فوفقاً لمقاربة بوبوفيتش فإن الترجمة جمعت بين انزياحين ترجميين، تكويني وفردى، تكويني من خلال تغيير التركيب وفردى من خلال خيارات المترجم المعجمية.

المقطع الثالث :

النص الأصلي:

"ويطَيرون حمامم الذكري إلى أبراجها الأولى، ويصطادون من شهدائهم نجماً يسيرهم إلى وحش الطفولة" (درويش، 1989، ص. 89)

الترجمة:

"They flew pigeons to the towers of their homes. They picked one of their martyrs as a star to lead them to the wilderness of infancy." (Jetker, 1989, p. 38)

تحليل المعاني والأساليب:

الملاحظ أن هذا المقطع مثقل بالمعاني والصور البيانية، إذ أن الشاعر يصور رحلة في الذاكرة الجمعية الفلسطينية، رحلة رمزية تعود بهم إلى ماضٍ أليم إلى أيام النكبة، فقد وظف درويش مجموعة من الانزياحات الاستبدالية الدلالية تمثلت في الاستعارة مثل: "يصطادون من شهدائهم نجماً" حيث شبه الشهداء بالمصطاد ووظف فعل الاصطياد مجازاً (والذي يقصد به الاختيار) لتقريب القارئ من فكرة استرجاع المجد المفقود، وفي عبارة "يطيرون حمامم الذكري" أيضاً استعارة مكنية فقد شبهت الذكريات بالحمام وقدّم المشبه به، وحذفت أداة التشبيه، ومعناها "يطيرون الذكري مثل الحمامم" وذلك لغرض



إحداث أثر جمالي من خلال الانزياح من الواقع إلى الرمزية. كما شملت الانزياحات الدلالية أيضاً الكناية مثل: "أبراجها الأولى" كناية عن "الديار"، "نجماً" كناية عن "الشهيد الذي ينير الطريق"، و "وحش الطفولة" كناية عن "أيام النكبة". كما تجلت أيضاً من خلال توظيف المقابلة التي تمثلت في التضاد الضمني بين مفردات: الطيران/الصيد، حمائم الذكرى/نجم الشهداء، الأبراج الأولى/وحش الطفولة لإثارة المتلقي إيقاعياً ولإضفاء طابع جدلي شعري على المقطع.

تحليل الترجمة

إن أول ملاحظة يمكن تدوينها هي استخدام المترجم للماضي (flew, picked) عوض مضارع النص المصدر (يطيرون، يصطادون)، ويعتبر هذا الفعل انزياحاً نحوياً-دلالياً ناتج عن خيار فردي للمترجم أفقد المقطع ديناميكيته المستمدة من دلالة المضارع التي تفيد الاستمرارية والتجدد والاستقبال، باستخدامه للماضي الدال على وقوع الحدث وتماحه الذي يوحي بالخمول. ويعتبر هذا الانزياح فردي سلمي من منظور بوبوفيتش. والملاحظ أيضاً أن ترجمة "ويطيّرون حمائم الذكرى" بـ (they flew pigeons) لم تكن موفقة بسبب اختيار المترجم لكلمة (pigeons) للتعبير عن "حمائم الذكرى"، الذي أسقط "دلالة الذكرى" التي تعتبر أهم من دلالة "الحمائم" في النص الأصلي كونها المشبه في الاستعارة المكنية التي وظفها الشاعر، ولو أنه احتفظ بدلالة "الذكرى" من خلال ترجمة من قبيل (they flew their Memories) لكانت الترجمة أكثر توفيقاً لأنها تحافظ على الدلالة الرئيسية، من حيث أنها تعيد إنتاج صورة الاستعارة في النص الهدف، وبالتالي فإن الترجمة قدمت انزياحاً فردياً دلالياً سلبياً لا يخدم التكافؤ المطلوب.

نفس الملاحظة يمكن أن نشير إليها فيما يخص عبارة (the towers of their homes) كترجمة لـ "أبراجها الأولى" التي وُظفت كناية عن "الديار" في نصها الأصل، فقد بدى هذا الاختيار فضفاضاً واسع الشرح، أقرب إلى الحقيقة منه إلى المجاز مما غيب أثر الكناية في الترجمة، وهذا انزياح ترجمي تركيبى دلالي سلمي لم ينجح في محاكاة الانزياح الأسلوبى الاستبدالي في لغة المصدر. وأما عن ترجمة "ويصطادون من شهدائهم نجماً" فقد أثر المترجم الوضوح في تعبيره بـ (picked) مقابل "يصطادون" وهذا برأينا لم يكن خياراً، بل ضرورة فرضها السياق، إذ ان استعمال لفظ (hunt) قد يضفي نوع من الخشونة والعنف

على المقطع، لذلك يمكن تصنيفه انزياحاً دلاليّاً تكوينياً. وأما عن ترجمة عبارة "من شهدائهم نجما" فقد كانت تميل إلى الكلام العادي لا شعرية فيها، أفرغت كلمة "نجم" من شحنها المجازية، إذ وُظفت في الأصل ككناية على "الشهيد الذي ينير لهم الطريق"، وهذا أيضاً انزياح تركيبى دلالي سلبى غيَّب الأثر الأسلوبى للكناية في النص المصدر. وبخصوص ترجمة العبارة الأخيرة من المقطع، فقد انتهج المترجم أسلوب المفارقة (paradox) في جمعه بين (wilderness) و (infancy)، أي بين الوحشية والبراءة ويعتبر هذا الخيار موفق إلى حد ما، من حيث إنه نجح في إعادة انتاج مكافئ أسلوبى، ولكنه في الوقت نفسه لم يستطع إيصال معنى "الفاجعة الأليمة" بالنسبة للفلسطينيين ألا وهي النكبة. وبالتالي فإن هذا الفعل يمكن اعتباره انزياحاً دلاليّاً تكوينياً لأنه يحاكي الأثر الأسلوبى من خلال اقتراحه لمفارقة بغية تعوض كناية النص المصدر.

5. خاتمة:

تناولت الدراسة ظاهرة لغوية مشتركة بين الأسلوب والترجمة، تتمثل في فعل الانزياح. حيث ناقشت مفهومه من خلال عرض لمجموعة من وجهات النظر الخاصة بحقلي الأسلوبية والترجمة، وتطرقنا إلى تبيان العلاقة بين انزياح الترجمة (Translation Shift) و الانزياح الأسلوبى (Stylistic Deviation). وقد بين التحليل أن الانزياحين يشتركان في نفس المبدأ، هو فعل الخروج عن المعيار. كما وضحت الدراسة أيضاً أن الانزياح الأسلوبى في النص المصدر يولد انزياحات ترجمية موازية في النص الهدف أثناء عملية الترجمة، وهذا ما يؤكد العلاقة السببية التي تربطهما. وبالتالي فإن اعتبار الترجمة مجرد وسيلة للنقل اللغوي هي نظرة ضيقة، ذلك أن فعل الترجمة، وخاصة الترجمة الأدبية، هو نشاط تأويلي إبداعي يستجيب للمتغيرات الأسلوبية في النص الأصلي يسعى إلى إعادة انتاج المعاني والأساليب عبر اللغات والثقافات. و منه يمكن القول أن قيمة هذه الدراسة تكمن في اسهامها في توسيع الحيز المفهومي للانزياح ليشمل حقلين دراسيين يضمنان كل من التعبير والنقل الابداعيين. كما يمكن الاستفادة من نتائجها في تحسين الأداء الترجمي من الناحية التطبيقية، و فتح المجال أمام إمكانية أبحاث مستقبلية تتناول مواد أدبية ولغوية أخرى، أو زوايا ووجهات نظر أعمق.

6. قائمة المراجع:



المراجع باللغة العربية:

1. الددة، عباس. (2009). *الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب*. دار الشؤون الثقافية العامة.
2. السد، نور الدين. (2010). *الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث*. دار هومه.
3. العراقي، فائز. (1998). *شعر الانتفاضة في البعدين الفكري والفني*، اتحاد الكتاب العرب.
4. جابر، عمر صبحي محمد. (2020). *الوطن بين المنفى وخيالات العودة: قراءة في قصيدة مأساة النرجس لمهارة الفضة لمحمود درويش*. مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، (12)، 269-294.
5. حمد، عبد الله خضر. (2013). *أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات*. عالم الكتب الحديث للنشر والإشهار.
6. فضل، صلاح. (1998). *علم الأسلوب مبادئه وأجراءاته*. دار الشروق.
7. كوهين، جان. (1986). *بنية اللغة الشعرية*، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر.
8. محمود، درويش. (1989). *مأساة النرجس ومهارة الفضة*. مجلة الكرمل، (32)، 88-104.
9. ويس، أحمد محمد. (2005). *الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية*. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

المراجع باللغة الإنجليزية:

1. Biloveský, V. (2014). *Slovak thinking on Translation*. European Researcher, (6-2), 1177-1181.
2. Catford, J. C. (1965). *A Linguistic Theory of Translation: An Essay in Applied Linguistics*.
3. Data-Bukowska, Ewa. (2015). *Do Translators Get Attached to Constructions?*. *Linguistica Silesiana*, (36), 232-233

4. Fouad, A., & Sadkhan, R. (2015). *Translation lexical shifts in the swing with reference to culture-specific items*.
5. Jetker, F. (1989). *Tragicomedy of Daffodils and Silver*. Democratic Palestine, (35), 37-39.
6. Leech, G. N. (2014). *A Linguistic Guide to English Poetry*. <https://doi.org/10.4324/9781315836034>
7. Munday, J. (2001). *Introducing translation studies: Theories and Applications*. Psychology Press.
8. Munday, J. (2009). *Introducing translation studies: Theories and Applications*. Routledge.
9. Nida, E. A., & Taber, C. R. (1982). *The theory and practice of translation*. <https://doi.org/10.1163/9789004669147>